

صورولوجية التقاليد الإيرانية في كتابي «التاج في أخلاق الملوك» و«نوروز نامه»

«دراسة مقارنة»

د. محمد جعفر اصغري(*)

زهرا حسيني شمس آباد(**)

د. سيد مرتضى طباطبائي جعفري(***)

د. اعظم شمس الديني فرد(****)

◆ تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٦/٥

◆ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٨/٢٢

ملخص

إنَّ الصورولوجية التي تطرح نفسها في إطار المدرسة الفرنسية المقارنية، تُركِّز في الغالب على أدب كتب الرحلات والمسرحيات كما وتهتم بدراسة بلدٍ ما في أدب بلدٍ آخر وموقف المؤلف من بلدٍ آخر. من هذا المنطلق، فإنَّ البحث الحاليَّ يهدف إلى التركيز على وصف الجاحظ في كتابه «التاج في أخلاق الملوك» عن التقاليد الإيرانية؛ فَلتبيين الأفضل والانطباع الأصحَّ عما يُقدِّمه الكاتبُ العربيُّ من صورٍ عن التقاليد

(١) أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولي العصر (عج) في رفسنجان، إيران. (الكاتب المسؤول).
mj.asghari@vru.ac.ir

(٢) خريجة الماجستير في الأدب العربي من جامعة ولي العصر (عج) في رفسنجان، إيران.

(٣) أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولي العصر (عج) في رفسنجان، إيران.

(٤) أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولي العصر (عج) في رفسنجان، إيران.

الإيرانية ونظراً إلى أن المقارنة تُؤدِّي بالبحث إلى نتيجةٍ أحسن، يهدف البحثُ أيضاً إلى الاهتمام بوصف الخيام للتقاليد الإيرانية في كتابه «نوروز نامه: كتاب النيروز» مُستشهداً بالقواسم المشتركة ووجوه التباين بينهما، مُستعيناً بالمنهج الوصفي التحليلي. إنَّ ما اهتدى إليه من نتائج يُشير إلى صفة العدالة المترسّخة لدى الإيرانيين. والنيروز ومَظَاهِرُهُ تجلّى في الكتابين إلا أنه تجلّى في كتاب «نوروزنامه» بشكلٍ أفضل؛ أما بالنسبة إلى وجوه التباين فالفرق بين الكاتبين بشكلٍ عام، يتجلّى في أن الخيام في وصف التقاليد مُهتَمٌّ بالتفاصيل غير أن الجاحظ عند وصفه التقاليد لا يدخل في التفاصيل. فضلاً عن ذلك، الجاحظ عند وصف التقاليد، يأتي بالحكاية بعد شرح التقاليد في حين أن الكاتب الإيراني يأتي بالحكاية قبل وصف التقاليد.

الكلمات الدليّة: الأدب المقارن، الصورولوجيّة، التقاليد، التاج في أخلاق الملوك، نوروزنامه، الجاحظ، الخيام

١.المقدّمة

«إنَّ ولادة العمل الأدبي تتم بتضافر مُقوماتٍ عدّة، منها الظروف الاجتماعيّة، أو التاريخيّة، أو النفسيّة، أو التآثر بأدبٍ ما، أو بأفكار أديبٍ ما» (جوني و....، ١٤٠١، ص ١٣٩). أمّا الصورولوجيّة (دراسات الصورة) فهي إحدى القضايا المطروحة في الأدب المقارن وهي تنقسم إلى نوعين: «الأول: دراسة بلدٍ ما كما يُصوِّره أدبٌ آخر والثاني: دراسة بلدٍ ما كما يُصوِّره مُؤلِّفٌ ما من أمةٍ أخرى» (العشماوي، ١٩٩٤م، ص ٣٩). «ترجع أهميّة دراسة الصورة إلى أنها توسّع أفق الكتابة والتفكير وتُصحّح فهمنا للآخر كما أنها تعمّق فهمنا للذات وتضعها في إطارها الصحيح مقابل الآخر بما يغني الشخصية الفردية ويجعلها أقدر على تقييم نفسها وكذلك تُبيّن الصورة المغلوطة المكوّنة عن الشعوب؛ فتُسهّم في إزالة سوء التفاهم وتؤسّس لعلاقات مُعافاة من الأوهام والتشويه» (حمود، ٢٠٠٠م، ص ١١٣).

لقد سافر العديد من الأدباء والسيّاح إلى إيران والدول العربيّة مُصوِّرين ما في

تلك البلاد من رسوم وتقاليد؛ صور الكاتب العربي المعروف عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ في أثره «التاج في أخلاق الملوك» ثقافة الإيرانيين وتقاليدهم. يُخصّص الجاحظُ البابَ الأوّل من الكتاب لـ (آداب الدخول على الملوك) مُتحدّثاً في ثنايا ذلك عن آداب الدخول على الأشخاص المختلفين؛ أما الباب الثاني فخصّص لـ (باب في مطامعة الملوك)؛ يتحدّث الكاتب في هذا الباب عن شرف مُؤاكلة الملوك. في الباب الثالث الذي عنوانه الكاتب بـ (باب في المنادمة) يجري الحديث عن طبقات النّدماء ومراتبهم لدى الفرس والخلفاء. الباب الأخير الذي يحمل عنوان (باب في صفة ندماء الملك) يتحدّث الكاتب فيه عن عدّة الملك في سفره أو نزّهته و.....

إنّ ما كان يوجد في إيران من تقاليد عالية وراقية لفت أنظار كبار العلماء والأدباء؛ حيث ألّف الحكيم عمر الخيام الفيلسوف الشهير، رسالةً مشهورةً مُعنونةً بـ (نوروزنامه: كتاب النيروز)؛ فالكتاب كما يبدو من العنوان كتابٌ عن أصل الاحتفال بالنيروز وآدابه وطقوس ملوك العجم. كما يلاحظ عليه، لا يقتصر البحث الحاليّ على صورة إيران في أدب كاتبٍ من أمةٍ أخرى وإمّا اهتمّ بوصف الخيام الإيرانيّ عن التقاليد الإيرانية؛ وذلك لمقارنة ما صورّه كاتبٌ من أمةٍ أخرى مع كاتبٍ من تلك الأمة؛ لأنّ البحث، عند المقارنة يهتدي إلى نتيجة أفضل؛ فإنّ البحث الحاليّ الذي يتمّ وضعه في إطار المدرسة الفرنسيّة للأدب المقارن، يُحاول عقد المقارنة بين صورة التقاليد الإيرانيّة في أدب الكاتبين من خلال الاهتمام بمفاهيم قيمة مثل التفاهم وخلق التضامن والتقارب والتعاطف بين الدول.

٢. إشكالية البحث

كانت الصورولوجية (دراسات الصورة) ولا تزال تحظى بأهميةٍ بالغةٍ لدى الباحثين المهتمّين بالأدب المقارن حيث نالت حظاً أوفى ودراسةً أعمق في الأوساط الأدبيّة؛ إذ إنّها تهتمّ بدراسة صورة شعبٍ لدى شعبٍ آخر؛ «تكشف الصورولوجية عن المكونات النفسيّة والدّهنيّة للأديب، فالوسيلة المهمّة التي يُمكن الأديب أن يستخدمها للتعبير عن أفكاره، وعواطفه لنقل تجاربه إلى الآخرين هي الصورة: تشمل الصورة عنصريّين

أساسيين هما الأنا والآخر؛ لا يُمكن للأنا أن يعرف نفسه جيّدًا إلا إذا عرف الآخر» (يادگاری و.....، ١٤٤٤هـ-ش، ص ١١٤-٩٣). بناءً على ما تقدّم، تتطرق الدراسة إلى الصور المقدّمة عن التقاليد الإيرانيّة في كتابي «التاج في أخلاق الملوك» و«نوروزنامه»؛ يتحدّث الجاحظ البصريّ عن التقاليد الإيرانيّة مُستشهدًا بما رآه من تقاليد وعادات في الثقافة الإيرانيّة، فهو في عمله هذا، يشبه مُصوّرًا بيده الكاميرا (آلة التصوير) يقوم الجاحظ باختيار ما يعجبه من مشاهد وبانتقاء ما يخدم خطابه؛ وممّا يلفت النظر في مثل هذه الدراسات هو هل ما يُقدّمه الكاتب المصوّر مختلفٌ عن الصورة المغلوطة المكوّنة للشعوب أم يكون موافقًا لها؟ لهذا، اهتمّ البحثُ بما وصفه كاتبٌ إيرانيّ عن التقاليد في بلده، حتّى يخرج بنتيجة أحسن؛ إذ إنّ المقارنة بين ما يُقدّمه كاتبٌ عربيّ وما يُصوّره كاتبٌ إيرانيّ، يُؤدّي بالبحث إلى نتيجة أفضل؛ فالقارئ لا يقف متحيرًا إزاء ما يُشاهده؛ فبما أنّ الجاحظ البصريّ كاتبٌ صوّب نحوه عددٌ لا يُستهان به من سهام النّقد على أنّه ضدّ الشّعوبيّة والإيرانيّين ومن جانب آخر، نظرًا إلى أنّه يُعبّر عن اعجابهِ بالتقاليد الإيرانيّة مُثيرًا صورةً إيجابيّةً مُشرقةً عن الإيرانيّين، فهذا البحث وما فيه من معلومات يستطيع أن يدحض الصورة السلبية للثقافات في أذهان النّاس داعمًا الوعي القومي مُغذيًا الشّخصيّة القوميّة. فبناءً على هذا، يطرح البحثُ سؤالين حتّى يُجيب عنهما في نهاية المقالة من خلال التحليل والدراسة في صميم البحث: ١. ما هي القواسم المشتركة في تصوير التقاليد الإيرانيّة لدى الكاتبين ٢. ما هي وجوه التباين في تصوير التقاليد الإيرانيّة لدى الكاتبين؟

٣. خلفيّة البحث

من خلال البحث في المكتبات وقواعد البيانات الإعلانيّة، تبيّن للباحثين أنّه لم تتمّ مناقشة هذا الموضوع حتّى الآن؛ غير أنّ هنالك بعض الدراسات، قليلًا ما تشابه موضوع هذا البحث. هذه البحوث هي كما يلي:

رحمتي (١٣٨٦هـ-ش/مجلة آيينه ميراث)؛ «جاحظ وكتاب التاج منسوب به او

[الجاحظ وكتاب التاج المنسوب إليه]. يكشف الكاتب في هذه المقالة اللثام عن الهوية الأصلية لمؤلف الكتاب مُعتقداً أنّ المؤلّف الحقيقي لكتاب التاج في أخلاق الملوك هو حارث بن محمد التغلبي؛ صيادى نژاد وكوچيان (١٣٩٠هـ/ش/مجلة الأدب العربي بجامعة طهران)؛ «بازتاب جشنهای ایرانیان در دو کتاب المحاسن والأضداد والتاج جاحظ بصرى [انعكاس أعياد الإيرانيين في كتابي المحاسن والأضداد والتاج للجاحظ البصري]». يعتقد الكاتبان في هذه المقالة أنّ الجاحظ دون أيّ تعصّب يُقرّ بالمنزلة العالية التي احتلّها الإيرانيون كما يُشير إلى الاحتفالات الكبيرة التي كانت تُقام في العصر العباسي مثل النيروز والمهرجان والقصص؛ سبزيان پور وسروش (١٣٩٠هـ/ش/مجلة پژوهش زبان وادبيات فارسی)؛ «تأثير فرهنگ وادب ایرانی در ادب عربي؛ مورد پژوهانه: امثال مولد [تأثير الثقافة والأدب الإيراني في الأدب العربي؛ الأمثال المولدة نموذجاً]». يستنتج الكاتب بأنّ القسط الأوفر ممّا يوجد في الأدب العربي من الأمثال المولدة غير العربية ترجع جذورها إلى المصادر الإيرانية، فضلاً عما يوجد في الأدب العربي من حِكَمٍ إيرانية؛ احمدي مجين (١٣٩١هـ/ش/رسالة الماجستير، جامعة الفردوسي بمشهد المقدّسة)؛ «تصوير ايران در شعر شعراي معاصر عراق با توجه به شعر: احمد صافي نجفي، عبدالوهاب بياتي ومحمد مهدي جواهرى [صورة إيران في شعر الشعراء المعاصرين العراقيين؛ تركيزاً على شعر: أحمد صافي النجفي، وعبدالوهاب البياتي، ومحمد مهدي الجواهري]. النتيجة التي اهتدى إليها الكاتب هي أنّ هؤلاء الشعراء تأثروا بالثقافة الإيرانية وانعكست الثقافة الإيرانية في آثارهم؛ شريعت پناه (١٣٩٣هـ/ش/رسالة الماجستير، جامعة الفردوسي بمشهد المقدّسة)؛ «تصوير ايران در رحله ابن بطوطه از منظر ادبيات تطبيقي [صورة إيران في رحلة ابن بطوطه من منظور الأدب المقارن]». يبحث الباحث عمّا يُصوّره ابن بطوطه عن الثقافة الإيرانية كما يصف نظرة ابن بطوطه إلى الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بأنّها إيجابية؛ عيداني وسعدون زاده (١٣٩٧هـ/ش/مجلة كاوش نامه ادبيات تطبيقي/جامعة رازی بکرمانشاه)؛ «بازتاب فرهنگ و ادب ایرانی در شعر ابن رومی [انعكاس

الثقافة والأدب الإيرانيّ في شعر ابن الرومي]. يُؤكّد الكاتب على تأثر ابن الرومي بالثقافة الفارسيّة مُشيراً إلى أنّ رغبة هذا الشّاعر في إيران لم تمنعه من الاهتمام بالمبادئ الإسلاميّة؛ سبزيان پور وسروش (١٣٩٩هـ.ش)؛ «نگاهی دوباره به کتاب تاج حافظ [نظرةً ثانيةً إلى كتاب التاج للجاحظ]». يُشير المؤلّفان إلى أنّ الجاحظ في كتابه يُقرُّ بأنّ العرب احتذوا حذو الإيرانيين في السياسة وإدارة البلاد. يعتقد المؤلّفان أنّه يُمكن التعرّف إلى كثيرٍ من الآداب الساسانيّة من خلال الآداب الشائعة في الخلافة العبّاسيّة كما يُشيران إلى أنّ كتاب التاج في أخلاق الملوك يُعدّ تعويضاً عمّا ضاع من النصوص البهلويّة. قنوت وأورعى قديري (١٤٠٠هـ.ش/جامعة الزهراء، تاريخ نگرى و تاريخ نگارى)؛ «بررسی نوروزنامه ها در عصر اسلامی تا سده نهم هجری [دراسة في كتابات النيروز ومراجعتها من العصر الإسلامي حتّى القرن التاسع الهجري]». يعتقد الكاتب أنّ كتابة كتابات النيروز قد بدأت منذ القرن الثاني الهجريّ إلّا أنّ الاهتمام بها بلغ ذروته في القرنين الثالث والرابع. تمتاز هذه الكتابات بنصّ بسيطٍ. من الموضوعات المطروحة في مثل هذه الكتابات، إقامة احتفال النيروز والتقويم على أساس النيروز وأسباب إقامة الاحتفالات والتقاليد النيروزيّة. تسليمي، علي؛ وزارعي، ناهيد؛ ودارلو، محمد علي؛ (١٤٠٠هـ.ش)؛ «گفتمان های مختلف در نوروزنامه [خطابات مختلفة في نوروزنامه]»؛ يهتدي الباحث في هذا البحث إلى أنّ الخطاب الذي يلتزمه الخيام هو خطابٌ ثقافيٌّ حيثُ يلعبُ دوراً مهمّاً في تجديد بناء خطاب النيروز. يُعدّ احتفال النيروز محوراً مركزيّاً تدور حوله خطابات مثل الطّب والنجوم والخرافات. والخمر له مظهرٌ بارزٌ في العناصر الخطابية في نوروزنامه. ممّا تقدّم، لقد تبين أنّ بعض ما ذكر من الأبحاث أعلاه كخلفيّة للبحث، حقّق تأثير كتاب النيروز على تطوّر اللّغة الفارسيّة ورُقّيها؛ غير أنّ البعض الآخر حاول تحديد مكانة الثقافة الإيرانيّة بين الأمم الأخرى من خلال العلاقات الوثيقة التي كانت قائمةً بين إيران والعرب؛ بينما يتمّ تحليل التقاليد الإيرانيّة، في البحث الحالي، بطريقةٍ مُقارنّة.

٤. الخيام النيسابوري والمسك الفكريّ وكتابه «نوروز نامه»: كتاب التبروز»

أما الخيام فهو غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري (٥١٧-٤٣٩هـ) من خطباء إيران في النصف الثاني من القرن الخامس وبدايات القرن السادس الهجريّ. في العصر الحديث، يُصَبُّ جُلُّ الاهتمام على شاعريّته مُقارنَةً بِوَجْهه العلميّ المتميّز؛ إلاّ أنّه كان يحظى بِمَنْزِلَةٍ عاليةٍ في العلم حيثُ عَدَّ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي عَلِي سينا في الحكمة. كما أشاروا إليه في قواعد علم الفلك وفي أمور مثل ترتيب التقويم وتصحيحه وعَدُّوا كلامه مُسَلِّمًا» (صفا، ١٣٦٩هـ.ش، ج ٢، ص ٥٢٧). «الخيام النيسابوري في تاريخ الأدب الفارسيّ فضلًا عَن مظهره الفلكيّ والفلسفيّ والرياضيّ له شخصيةٌ أدبيّةٌ وَفِي هذا المقام، يحظى بِشُهْرَةٍ عالميّةٍ» (صفا، ١٣٦٩هـ.ش، ج ٢، ص ٥٢٩). «يدعو الخيام النيسابوري في جميع كتاباته إلى أنّ حياة الدنيا فانيةٌ وأنّ سلوك الإيرانيين وشخصيّتهم يقتضي أن يسعوا وراء الحقيقة والصدّاقة والإنسانيّة؛ فَبِنَاءً على هذا، عَدَّهُ بعضُ النّاس إنسانًا يسير نحو اللدّة والمُتعة» (ملاكي و.....، ١٣٩٩هـ.ش، ص ٢٢٧-٢٤٤). «في الفترة الحزينة للخيام وفي ذلك الوقت الذي حكم الأتراك السلاجقة إيرانَ وما تسبّبوا به من أجواء خانقة وضيّقة، يبذل الخيام أقصى جُهدِه في أن يكون مَسرورًا. لا يعتقد الخيام بالجبريّة المفرطة؛ إلاّ أنّه معتقدٌ بأنّ حياتنا رُتبت ونُظمت دون حضورنا واستشارتنا؛ فتبعًا لذلك، ما يُمكننا فعله هو التمتع بمباهج الحياة والتبليغ بأقلّ ما في اللّحظات من مباهج. إنّ فكرة الموت المتبوعة بالدهشة من عبث الخلق والموت وأخيرًا الوصول إلى لحظة الحياة هي أهمُّ خُطوط الفكر الخيامي» (مصاحب، ١٣٧٩هـ.ش، ص ٥٨).

«كُلُّ هذه المعتقدات بُنيت على طريقةٍ يرى فيها الخيام الإنسانَ على أنّه كأسٌ يُطلُّ على العالم مُعتقدًا أنّ العالم الصغير عالمٌ صغيرٌ غير أنّه كاملٌ ومكتملٌ؛ فعندما ننظر إلى المكانة الرفيعة للإنسان في أفكاره، يُصبح نظام الخيام الفكريُّ ذا أهميّة بالغة» (فاضلي، ١٣٨٧هـ.ش، ص ٨٢). أما في زمن الخيام، فانخرطت طوائفٌ مُختلفة

من السنّة والشّيعة والأشعريّين والمعتزلة في نقاشات أساسيّة ودينيّة. كان الفلاسفة يُتّهمون باستمرار بالكفر من قبل دوائر مختلفة. استحوذ التّحيزُ على أجواء المجتمع ولم يجرؤ أحدٌ على التعبير عن آرائه. من الناحيّة السياسيّة وَقَعَت أحداثٌ مهمّةٌ في فترة الخيّام. من جملتها: سقوط البُويهيين وقيام الدولة السلجوقيّة والحروب الصليبيّة وظهور الباطنيّين» (صادق و.....، ١٣٩٧هـ-ش، ص ١٢٧-١٤٤).

تحدّث الخيّام بِشغفٍ شديدٍ في (نوروزنامه: كتاب النّيروز) عن عالميّة الأباطرة الإيرانيّين القُدماء والمعرفة التي كانت تهمّهم. «إنّ الأجزاء العديدة والمتنوّعة من النّص الرئيّسيّ للكتاب هي: بداية كتاب نوروزنامه وعن آداب ملوك العجم وعن مجيء الموبذ والإتيان بهديّة نوروزيّة وذكر الدّهب وما كان واجبًا عنه وذكر الخاتم ووُجوبه وذكر الغلات ووُجوبها وذكر السيف وما كان واجبًا عنه وذكر القوس والسهم وما كان واجبًا عنه وذكر القلم وصفاته وما كان واجبًا عنه وذكر الفرس وما كان واجبًا عنه والأسماء الفارسيّة للفرس وذكر الصقر وفنّه وما كان واجبًا عنه وعن صيد الصقر وقصّة فوائد الخمر وقصّة تكوين الخمر وكلام عن إيجابيّات بشاشة الوجه» (من مقدّمة مجتبي مينيوي على نوروزنامه للخيّام، ١٣٨٥هـ-ش، ص ١٦).

إنّ قسمًا آخر من كتاب (نوروزنامه) مكرّس للتّاريخ المختصر لملوك إيران الأسطوريّين أي حُكّام السلاطين: بيشداديان و كيانيان. في هذا القسم الذي بُدء بالملك الأوّل، كيومرث، ذكّر المؤلّف اسم كلّ ملك بالإضافة إلى بعض أحداث عهده» (من مقدّمة مجتبي مينيوي على نوروزنامه للخيّام، ١٣٨٥هـ-ش، ص ٢٠). «فقد ذكر المؤلّف أنّ فريدون كان من سلالة جمشيد؛ فهو الذي قتل الضحّاك وحكم لمُدّة خمسمئة عام» (من مقدّمة مجتبي مينيوي على نوروزنامه للخيّام، ١٣٨٥هـ-ش، ص ١٠). «أفضى هذا الشاعر إلى دار ربّه في مدينة نيسابور وذلك عام ٥١٧هـ-ق» (صفا، ١٣٦٩هـ-ش، ج ٢، ص ٥٢٩).

٥. الجاحظ والمسك الفكريّ وكتابه «التاج في أخلاق الملوك»

«كَانَ الْجَاحِظُ بِحَسَبِ قِصَّةٍ مِنْ صِلبِ الْكِنَانِيِّينَ» (ابن خُلَّكَان، ١٢٩٩هـ ص ٤٧٠).
«بِهَا أَنَّ فِزاره جَدَّ الْجَاحِظِ كانَ أَسودَ اللَّوْنِ، فَمِنَ الْمُحتمَلِ أَنَّهُ كانَ مِنَ العِرقِ الْأَسودِ
والإفريقيّ» (السندوي، ١٣٥٠هـ ص ١١). «الجاحظ في اللّغة العربيّة يُطلق على من
جَحَظت عيناه. فقد كان يُسمّى جاحظًا؛ إذ إنَّ عُيُونَهُ كانت تُشبه عيون الضفدع. وكان
أيضًا يدعى حدقيًّا؛ لأنَّ محاجره كانت بارزة» (ابن كثير، ١٤٠٧هـ ص ١٩). «وُلد سنة
١٦هـ ق في مدينة البصرة. لمّا نشأ تتلمذ على يد أهل المسجد كما وتلمذ على أيادي
العلماء الكبار للبغداد مثل الأصمعي. كان الجاحظ يُحبّ المزاح كما كان متفائلًا»
(الفاخوري، ١٣٩٢هـ ش، ص ٥٥٧). «كان مُلتزمًا بِشؤون الدين غير أَنَّهُ لم يكن مُتشدّدًا
في الدين، مُتبعًا مدرسة المعتزلة. عدّ أتباع هذه المدرسة العقلَ المصدرَ الرئسيّ للمعرفة
الدينيّة. من وجهة نظر المعتزلة، الفكر ليس طبيعةً مُستقلّةً ومُتميّزةً وإنّما هو مفهومٌ
مستخرجٌ من مجموعةٍ من الأشياء المختلفة بناءً على نتائجه ووظيفته المعرفيّة» (ملك
مكان و....، ١٣٩١هـ ش، ص ١٤١). بعد الجاحظ، أُطلق عنوان الجاحظ على مَنْ
كانت لديه معلومات وافرة عن العلوم المختلفة مثل الفنّ والآداب وأقسام البلاغة.
وقد افتخر العديدُ من أركان العلم بالفوز باحراز هذا اللّقب؛ منهم أبو زيد البلخيّ
الملقّب بجاحظ خراسان وابن العميد الملقّب بالجاحظ الثاني» (السندوي، ١٣٥٠هـ
ص ١٨). كان الجاحظ على علم باللّغة الفارسيّة وذلك لأنّه قضى مُدّةً من العيش
في بغداد والبصرة حيثُ كان يعيش فيهما كثير من الإيرانيين المتحدّثين بالفارسيّة. إنّ
استخدام الكلمات الفارسيّة في آثاره، دليلٌ على هذا الادّعاء. يشمل العصر الذي عاش
فيه الجاحظ، أي العصر العبّاسي، أربعَ حقبات؛ الأولى: عصر القوّة والتوسّع والازدهار
للدولة العبّاسيّة الممتدّة من سنة ١٣٢ إلى ٢٣٢هـ الثائيّة: عصر النفوذ التركيّ المُمتدّد
من سنة ٢٣٢ إلى ٣٣٤هـ ق. الثالثة: عصر نفوذ البويهيين من سنة ٣٣٤هـ حتى سنة
٤٤٧هـ. الرابع: عصر نفوذ الأتراك السلاجقة ما بين ٤٤٧هـ و ٦٥٦هـ» (بتصرفٍ يسيرٍ،
طقوش، ١٤٣٠هـ ص ١٢٥). في العصر العبّاسيّ، كانت الظروف الاجتماعيّة للشّعب

والقرويين بئسَةً حيثُ أصبحوا محرومين من جميع حقوقهم ولم يكن لديهم الحقُّ في الاختلاط بالطبقات العالية» (سپهرى و.....١٣٨٩هـ-ش، ص ٣٢٢ و٣٢٣). لقد تأثّر العبّاسيون بالثقافات الأجنبية مقتبسين منها من دون أيّ تعديلٍ عليها. فقد أخذوا عن الإيرانيين النيروزَ وتقاليدَه مُعلنين إيّاه عيدًا وطنيًا رسميًا. «ارتدى الخلفاء القبّعات وفقًا للتقاليد الإيرانية؛ كما ارتدت فئات مختلفة من الناس نوعًا من العمامة مثل الإيرانيين؛ فبناءً على هذا، تشكّلت علاقات اجتماعية جديدة بين العرب المسلمين في أماكن مختلفة» (أمين، ٢٠٠٣ م، ص ٤٤). نُسب كتاب التاج إلى الجاحظ لأسباب مختلفة خارجة عن نطاق هذا البحث؛ إلا أنه، على أيّة حال، كتابُ كتبه شخصٌ أيًا كانت ميزاته، متحدّثًا في ثنايا ذلك عن ثقافة الإيرانيين وعاداتهم. «بما أنّ القدماء في كثير من الأحيان، قد اختاروا لتأليفاتهم أسماءً متعدّدةً ونظرًا إلى أنّ الجاحظ نفسه ممّن عنونوا آثارهم بعناوين مختلفة بعضها مختصر وبعضها طويل، وبناءً على أنّ الجاحظ كان شديدَ الاهتمام بأثار ابن المقفّع حيث كانت تعجبه كتبه؛ يُمكن القول إنّ الجاحظ في تسمية هذا الكتاب، قد احتذى حذو ابن المقفّع؛ إذ إنّ هذا الكاتب الكبير ترجم كتابًا يُسمّى بـ (التاج) أو (تاج كسرى) وكما جاء في الكتب المختلفة إنّ هذا الكتاب المذكور قد أُلّف حول أنوشيروان العادل وفوائده التاريخية» (من مقدّمة أحمد زكي باشا لكتاب التاج للجاحظ، ١٩١٤م، ص ٢١).

٦. صورولوجية التقاليد الإيرانية فن أدب المؤلّفين

تُقسم الدراسة عن صورة إيران في أدب المؤلّفين إلى قسمين؛ القسم الأوّل: القواسم المشتركة والقسم الثاني: وجوه التباين.

٦-١. القواسم المشتركة

٦-١-١. عدالة الإيرانيين في أدب كلا المؤلّفين

إنّ الكاتب العربيّ في الجزء المُعنون بـ (الساسانيين ومُكافأاتهم) يعدّ الملوّك

الساسانيين ملوكًا عادلين حيث ستذكر أسماءهم الحسنة وستظل أعمالهم الحسنة في الذاكرة حتى نهاية العالم: «وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية، وإلى إنقضاء مدة العالم» (الجاحظ، لاتا، ص ٤٦). يعتقد الكاتب العربي بأن الملوك الإيرانيين لا يدخرون وسعاً ولا يألون جهداً في إقامة العدل بشكل صحيح: «فكان الملك منهم يُقدّر الرجل من خاصته وبطانته تقديرًا وسطاً بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّة كلّها، وحوادثه خاصّها وعمّما» (الجاحظ، لاتا، ص ٤٦). ويضرب مثلاً على تصريحه بأنه إذا كان الشخص يكسب عشرة آلاف درهم كلّ شهر ولديه أرض صالحة للزراعة، فإنه سيحصل على عشرة آلاف درهم من الملك بعد كلّ ثلاثين ليلة: «فإذا كان التقدير على الجهة التي وصفتنا، عشرة آلاف درهم، وكانت للرجل صيعة، أمر أن يدفع إليه في كلّ ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم لأنزاليه ونفقته وحوادثه» (الجاحظ، لاتا، ص ٤٦).

يؤكد الجاحظ على أن الملوك الإيرانيين كانوا ممتازين في مجال إقامة العدالة لدرجة أن الضباط لم يشتكوا بعد عشرين عاماً من خدمتهم؛ لأنهم سدت حوائجهم «وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام، فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه يطلب درهم ولا غيره، مُنْبَسطاً لزمانه، مُبْتَهَجاً بنعم ملكه، مَسروراً بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال» (الجاحظ، لاتا، ص ٤٦).

يعدّ الخيام النيسابوري مثل نظيره العربي الملوك الساسانيين صالحين غير أن أسلوبه يختلف عن الكاتب العربي. يعتقد الكاتب الإيراني أن الساسانيين كانوا ينظّمون ظروف الناس المعيشية مُساعدين إياهم دون المطالبة بالردّ في ما بعد. يُضيف الكاتب الإيراني أن هؤلاء الملوك لم يصفحوا عن انتهاك القوانين مُهتَمين بالمخالفين حتى يكون ذلك درساً ولكن يطمع أحد في نهب الخزانة.

«هركسى را رسمى ومعيشتى فرمودندى، وهرسال بدو رسانيدندى بى تقاضا، واگر كسى از عمال چيزى بر ولايتى يا ديهي بيرون از قرار قانون در افزودى، آن عمل بدو ندادندى، بلكه او را مالش دادندى تا كسى ديگر آن طمع نكردى كه زيادت

از مردم بستاند وملك خراب گردد» (نيشابورى، ١٣٨٥هـ.ش، ص ١٦). (لقد تقرّر دفع تكاليف المعيشة ورسومها لكلّ شخص مُهدياً إياه سنوياً دون المطالبة برده ولو زاد عاملٌ من العُمَّال على الصدقة مبلغاً خارجاً عما كان قد سنّه القانون، لأقصوه عن العمل مُنبهين إياه وذلك سعيّاً وراء كُفّ النَّاسِ عَنِ الطَّمَعِ فِي الأَخْذِ الكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ؛ لأنّ هذا الأمر يُؤدّي إلى فساد البلاد).

المُلَفَت لِلنَّظَرِ فِي أَدَبِ الخِيَامِ أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَتحدَّثَ عَن أَهمِّيَّةِ كَسْبِ المَعْرِفَةِ والحِكمَةِ وتكريم العلماء لدى الإيرانيين، يُشير إلى اهتمام الإيرانيين بالعدالة؛ ربّما يُريد أن يقول إنّ القيام بالعدالة والتنمية للبلاد يُهدان أرضيةً مناسبةً لكسب المعرفة والحكمة: «وغير آيين ملوك عجم اندر داد دادن وعمارَتِ كردن ودانش آموختن وحكمت ورزیدن ودانايان را گرامی داشتن، همّتى عظيم بوده است» (نيشابورى، ١٣٨٥هـ.ش، ص ١٣). (كان للملوك الإيرانيين جهدٌ غيرٌ قليلٍ في القيام بالعدالة والتنمية وتعلّم المعرفة والحكمة والإكرام بوفادة العالمين).

٦-١-٢. إدارة الأمن لدى الإيرانيين في أدب الكاتِبين

إنّ قسمًا موفورًا من كلام الجاحظ يتمحور حول الساسانيين. فالكاتب العربيّ يُشيدُ بالصفح عن مُرتكبي الخطايا لدى الملوك الساسانيين مؤكِّدًا على أنّهم لن يعفوا عن الذنوب في عدّة حالات: الاغتيال عن الملوك ونشر الأكاذيب عنهم وسوء النية للبلاد وضمير الأحقاد والضغائن في القلوب والانتظار لأن لا تستقيم حالة البلاد وسرقة أموال الناس والتلاعب بالنظر إلى محارم الناس وكشف أسرار البلاد: «فإنّ الملكَ يَحتمِلُ كلَّ مَنْقوصٍ ومأنوفٍ، ولا يَحتمِلُ ثلاثةً: صفةٌ أحدهم أن يطعنَ في ملكه، وصفةٌ الآخر أن يُذيع أسرارَهُ، وصفةٌ الآخر أن يخونَهُ في حرَمِهِ. فأما من وراء ذلك، فَمِنَ أخلاقِ الملوك أن تلبَسَ خاصَّتْها ومن قَرَبَ منها على ما فيهم وأن تَسَمَعَ مِنْهُمْ إذا سَلِموا من هذه الصفاتِ الثلاثِ» (الجاحظ، لاتا، ص ٢٩).

إنّ ما تقدّم بيانه من الموضوعات، يدخل موضوعان منها في دائرة قضايا أمن البلاد وهي: سوء النية وكشف أسرار البلاد. فهذان الموضوعان كانا يحتلان مكانةً ممتازةً

لدى الملوك الساسانيين؛ فهذا يدلُّ على أنَّ هؤلاء الملوك لا يصفحون عن مثل هذه الصفات السيئة؛ فإنَّ ذلك يعود إلى حساسيتهم تجاه القضايا الأمنية التي ستذهب بالبلاد إلى حافة الهاوية حالة المُماطلة فيها.

من وجهة نظر الجاحظ، إنَّ الأمنَ له منزلة عالية لدى الإيرانيين حيثُ يُحذرون من عواصف الشدة حريصين دائماً على ما يُحيط بهم مُطلعين على كُلِّ ما في بلادهم من أخبار: «فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنِ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَقِيقٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمَّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنْ الْفَحِصِ عَمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٣).

فإنَّ الملكَ لا يُمكن اعتباره ذا خصال حسنة وأخلاق طيبة إلا إذا كان عارفاً بأسرار البلاد؛ ففي بحثٍ بعنوان «في عادات ملوك العجم» يُشير الخيام إلى أنَّ «صاحب خبران را در مملکت به هر شهری و ولایتی گماشته بودندی، تا آن پادشاه به موجب آن فرمان دادی، و چون حال چنین بودی، دستهای تطاول کوتاه بودی و عمال بر هیچ کس ستم نیارستندی کردن... و خواسته وزن و فرزند مردمان در امن و حفظ بودی و هر کس به کار و کسب خویش مشغول بودندی از بیم پادشاه». (نیشابوری، ١٣٨٥ هـ.ش، ص ١٤). (إنَّ الملوك الإيرانيين كلّفوا المُخبرين من كلِّ مَدِينَةٍ وَوَلَايَةٍ بِتَسْقُطِ عَمَّا فِي الْبِلَادِ مِنْ أَخْبَارٍ؛ فَبِنَاءٍ عَلَى مَا زُوِدَ الْمَلِكُ بِهِ مِنْ أَخْبَارٍ، أَصْدَرَ أَوَامِرَهُ بِشَأْنِ الْبِلَادِ. وَمَلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ سَائِدَةً فِي الْبِلَادِ تَوَقَّفَتْ أَيْدِي التَّطَاوُلِ عَمَّا كَانَتْ تَرْتَكِبُ مِنْ انْتِهَاكِ لِلْحُقُوقِ كَمَا سَبَّبَتْ فِي أَنْ يَتَوَقَّفَ الْعُمَالُ عَنِ الظُّلْمِ. فَسَبَبَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ، كَانَتْ أَمْوَالُ النَّاسِ آمِنَةً. فَالنِّسَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالرَّاحَةِ وَالْأَمَانِ أَيْضًا. وَكَانَ الْجَمِيعُ مُهْتَمِّينَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْ خَوْفِ الْمَلِكِ).

٦-١-٣. التشجيع

قضية أخرى تُعدُّ قاسماً مشتركاً بين الكاتبين العربي والإيراني هي قضية التشجيع في التقاليد الإيرانية. كان الكاتب العربيُّ يعتقد أنَّ هذه السمة هي من مكارم الملوك الإيرانيين؛ كما كان يرى أنَّ التشجيع كان فضيلةً فريدةً من نوعها لجميع الملوك

الإيرانيين منذ البداية حتى عصر الجاحظ: «وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْلَعَ عَلَى مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهِ سُورًا، إِمَّا فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَإِمَّا فِي تَوْكِيدِ مُلْكِهِ. فَإِنْ كَانَ السُّرُورُ لِنَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ، فَمِنْ حَقِّهِ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَخْلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً فِي قَرَارِ دَارِهِ، وَبِحَضْرَةِ بَطَانَتِهِ وَخَاصَّتِهِ» (الجاحظ، لاتا، ص ٢٢).

يعتقد الجاحظ في جزء آخر من تصريحاته أن الملوك الإيرانيين يُشجِّعون المُحسنين وفي بعض الحالات تُهدى الهدايا إليهم؛ وهذا التشجيع إِمَّا بسبب تأدية خدماتٍ جديدةٍ للملك أو إسداء خدماتٍ جلييلةٍ لِمَنْ يعيشون في أرض الملك: «وَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُفْرَدَ الْمُحْسِنُ بِخِلْعَةٍ فَقَط. فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يَكُونَ مَعَهَا جَائِزَةٌ وَصِلَةٌ وَتَرْتِيبٌ أَوْ وِلَايَةٌ أَوْ إِقْطَاعٌ أَوْ إِجْرَاءٌ أَرْزَاقٍ أَوْ فُكٌّ أَسِيرٍ أَوْ حَمْلٌ حَمَالَاتٍ أَوْ قَضَاءٌ دَيْنٍ أَوْ إِحْسَانٍ، كَانَتْ مَا كَانَ، مُضَافًا إِلَيْهَا وَمَوْصُولًا بِهَا» (الجاحظ، لاتا، ص ٢٢).

يُشيد الخيام مثل نظيره العربي بما كان في الثقافة الإيرانية من تشجيع وتقدير لِمَنْ يَسعون وراء فعل الخير؛ ففي الصفحات الأولى من كتابه، يَعدُّ الملوك الإيرانيين مُقدِّرين خدمة الخدم الجديدة حتى يكون هذا العمل تشجيعًا للآخرين: «وهو كه از خدمتکاران، خدمتی شایسته به واجب بکردی، در حال او را نواخت وانعام فرمودندی به قدر خدمت او تا دیگران به نیک خدمتی حریص گشتندی». (نیشابوری، ١٣٨٥ هـ.ش: ١٦ و ١٧). (كلُّ من قام من الخدم بإسداء خدمةٍ جلييلةٍ احتفوا به وقد أُهدي إليه من الهدايا الثمينة على حسب ما قام به من خدماتٍ ما شَجَّع الآخرين على إسداء خدماتٍ جلييلةٍ).

كان الامتنانُ سمةً جديرةً ونبيلةً بحيث أظهر الملوك الإيرانيون امتناناً لفظياً وفعلياً للأقوال والأفعال التي أعجبهم. «عادت ملوك عجم آن بوده است، كه هرکس پیش ایشان چیزی بردی، یا مطربی سرودی گفتی، یا سخنی نیکو گفتی در معانی که ایشان را خوش آمدی، گفتندی: زه، یعنی احسنت، چنانکه زه بر زبان ایشان برفتی از خزینه هزار درم بدان کس دادندی (نیشابوری، ١٣٨٥ هـ.ش، ص ١٦ و ١٧). (وَمِنْ عَادَةِ الْمَلُوكِ الْإِيرَانِيِّينَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْدَاهُمْ أَحَدٌ عَطِيَّةً أَوْ غَنَى مُطْرَبٌ تَرْنِيمَةً أَوْ جَاءَ

شخص بكلمة طيبة حلوة أعجبهم؛ ففي هذه الحالات، قالوا: أحسنت؛ فما إن جرت كلمة (أحسنت) على لسانهم حتى كوفى من قام بما تقدم ذكره من أعمال بألف درهم من الخزينة).

٤-١-٦. صورة النيروز في أدب الكاتبين

يُصور الجاحظ في قسم من كتابه التقاليد الرائعة للإيرانيين حول النيروز؛ فهو يبدأ حديثه على النحو التالي «وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ وَالنَّيْرُوزِ. وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا فَصَلَا السَّنَةِ. فَالْمَهْرَجَانُ دُخُولُ الشَّتَاءِ وَفَصَلُ الْبَرْدِ، وَالنَّيْرُوزُ إِذَنْ بِدُخُولِ فَصْلِ الْحَرِّ؛ إِلَّا أَنَّ فِي النَّيْرُوزِ أحوالاً لَيْسَتْ فِي الْمَهْرَجَانِ؛ فَمِنْهَا اسْتِقْبَالُ السَّنَةِ، وَافْتِتَاحُ الْخَرَاكِ وَتَوَلِيَةُ الْعُمَّالِ وَالاسْتِبْدَالُ وَضَرْبُ الدَّرَاهِمِ وَالِدَنَانِيرِ، وَتَذْكِيَةُ بُيُوتِ النَّيْرَانِ وَصَبُّ الْمَاءِ وَتَقْرِيْبُ الْقُرْبَانِ وَإِشَادَةُ الْبُنْيَانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَهَذِهِ فَضِيلَةُ النَّيْرُوزِ عَلَى الْمَهْرَجَانِ. وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ يَهْدِيَ إِلَيْهِ الْخَاصَّةُ وَالْحَامَةُ. وَالسُّنَّةُ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَهْدِيَ الرَّجُلُ مَا يُحِبُّ مِنْ مُلْكِهِ، إِذَا كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ. فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْمِسْكَ، أَهْدَى مِسْكَاً لَا غَيْرَهُ. وَإِنْ يُحِبُّ الْعَنْبَرَ، أَهْدَى عَنْبَرًا. وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ بَزَّةٍ وَلِبَسَةٍ، أَهْدَى كِسْوَةً وَثِيَابًا، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الشُّجْعَانِ وَالْفُرْسَانِ، فَالسُّنَّةُ أَنْ يَهْدِيَ فَرَسًا أَوْ رُمْحًا أَوْ سَيْفًا. وَإِنْ كَانَ رَامِيًا، فَالسُّنَّةُ أَنْ يَهْدِيَ نَشَابًا. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، فَالسُّنَّةُ أَنْ يَهْدِيَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً. وَإِنْ كَانَ مِنْ عُمَّالِ الْمَلِكِ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مَوَانِيذُ [مَتَأَخَّرَاتٍ] لِلسَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، جَمَعَهَا وَجَعَلَهَا فِي بَدْرِ حَرِيرٍ صِينِيٍّ، وَشَرِيحَاتٍ فِضَّةٍ، وَخِيُوطِ إِبْرِسِمٍ، وَخَوَاتِيمِ عَنْبَرٍ، ثُمَّ وَجَّهَهَا.» (الجاحظ، لاتا، ص ٤٧).

يتحدث الكاتب العربي عن تقاليد الملوك الساسانيين مثل «أردشير بابكان» و«بهرام گور» و«أنوشيروان» في النيروز والمهرجان: «وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشيروان يأمرُونَ بِإِخْرَاجِ مَا فِي خَزَائِنِهِمْ فِي الْمَهْرَجَانِ وَالنَّيْرُوزِ مِنَ الْكَسَى فَتَفَرَّقَ كُلُّهَا عَلَى بَطَانَةِ الْمَلِكِ وَخَاصَّتِهِ، ثُمَّ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ» (الجاحظ، لاتا، ص ٢٢). الكاتب الإيراني بادئ ذي بدء وقبل أن يتحدث بإسهاب عن الاحتفال بالنيروز وتقاليده، في بحثٍ مُعنون بـ (أغاز كتاب نوروزنامه [بداية كتاب النيروز]) يُشير إلى أن

أَوَّلَ مَنْ سَمِيَ النَّيْرُوزَ بِالنَّيْرُوزِ هُوَ الْمَلِكُ (جَمَشِيد) أَمْرًا بِالْإِحْتِفَالِ بِهِ: «چون جمشید آن روز را دریافت، نوروز نام نهاد و جشن آیین آورد و پس از آن، پادشاهان و دیگر مردمان بدو اقتدا کردند» (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۳۰). (لَمَّا عَرَفَ الْمَلِكُ جَمَشِيدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، سَمَّاهُ بِالنَّيْرُوزِ مُحْتَفَلًا بِهِ؛ فَاحْتَذَى حَذْوَهُ مَنْ جَاءُوا بَعْدَهُ مِنَ الْمُلُوكِ كَمَا احْتَذَى حَذْوَهُ الشَّعْبُ). فَهُوَ يَمْضِي قَائِلًا: «قصه آن چنانست که چون گیومرت اول از ملوک عجم به پادشاهی بشت خواست که ایام سال و ماه را نام نهد و تاریخ سازد تا مردمان آن را بدانند، موبدان عجم را گرد کرد و بفرمود که تاریخ آغاز کنند، موبدان جمع آمدند و تاریخ نهادند» (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۳۰). (الْقِصَّةُ هِيَ كَمَا يَلِي: عِنْدَمَا تَرَبَّعَ «گِیومرت الأول» مِنْ مَلُوكِ الْعِجْمِ عَلَى الْعَرْشِ؛ صَمَّمْ عَلَى تَسْمِيَةِ أَيَّامِ السَّنَةِ وَشَهْرِهَا مُحَدَّدًا التَّارِيخَ حَتَّى يَعْرِفَهُ الشَّعْبُ؛ فَتَبَعًا لِذَلِكَ، جَمَعَ الْمُوْبِدِينَ وَكَلَّفَهُمْ بِتَحْدِيدِ التَّارِيخِ مِنْ هَذَا التَّارِيخِ. فَاجْتَمَعَ الْمُوْبِدُونَ مُحَدِّدِينَ التَّارِيخِ)؛ يَتَحَدَّثُ الْكَاتِبُ الْإِيرَانِيَّ فِي عِنْوَانٍ آخَرَ (آمَدَن موبد موبدان و نوروزی آوردن: مجيء موبد الموبدين و تقدیمه الهدايا النوروزية) عن تقاليد الإيرانيين على النحو التالي: «آیین ملوک عجم از گاه کیخسرو تا به روزگار یزدجرد که آخر ملوک عجم بود چنان بوده است؛ که روز نوروز نخست کس از مردمان بیگانه، موبد موبدان، پیش ملک آمدی با جام زرین پُر می، و انگشتری و درمی و دیناری خسروانی، و یک دسته خوید سبز رسته، شمشیری، تیر و کمان، دوات و قلم، اسپ و بازی، غلامی خوب روی و ستایش نمودی و نیایش کردی او را به زبان پارسی به عبارت ایشان، چون موبد موبدان از آفرین پرداختی پس بزرگان دولت در آمدندی و خدمت‌ها پیش آوردندی» (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۴۶). (إِنَّ تَقَالِيدَ مَلُوكِ الْعِجْمِ مِنْ زَمَنِ كِي خَسْرُو حَتَّى زَمَنِ يَزْدَجْرَدِ الَّذِي كَانَ الْمَلِكِ الْأَخِيرَ لِلْسَّاسَانِيِّينَ، كَانَتْ تَشْمَلُ مَا يَلِي: فِي النَّيْرُوزِ، الشَّخْصَ الْأَوَّلَ مِنَ الْأَجَانِبِ؛ أَيُّ مُوْبِدٍ مَلُوكِ الْعِجْمِ، يَتَشَرَّفُ بِالْحُضُورِ عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَعَهُ كَأْسٌ ذَهَبِيَّةٌ مَلِيئَةٌ بِالنَّبِيذِ؛ كَمَا يَحْمَلُ مَعَهُ خَاتَمًا وَدَرَهَمًا) (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۴۶). و تعقيبًا على كلامه السابق، يروي الخيام ما يتفوه به موبد الموبدين من عبارات: «شها به جشن

فروردین، به ماه فروردین، آزادی گزین یزدان و دین کیان، سرش آورد ترا دانایی و بینایی بکاردانی، و دیر زیو با خوی هژیر، و شادباش بر تخت زرین، و انوشه خور به جام جمشید، و رسم نیاکان در همت بلند و نیکوکاری و ورزش و راستی نگاهدار، سرت سبز باد و جوانی چو خوید، اسپت کامگار و پیروز، و تیغت روشن و کاری به دشمن، و بازت گیرا و خجسته به شکار، و کارت راست چون تیر؛..... چون این بگفتی چاشنی کردی و جام به ملک دادی، و خوید در دست دیگر نهادی و دینار و درم در پیش تخت او بنهادی، و بدین، آن خواستی که روز نو و سال نو هر چه بزرگان اول دیدار چشم بران افگند تا سال دیگر شادمان و خرم با آن چیزها در کامرانی بمانند، و آن بریشان مبارک گردد، که خرمی و آبادانی جهان درین چیزهاست که پیش ملک آوردندی، اکنون فایده و صفت و خاصیت زر آغاز کنیم و سخن از وی گوئیم که زر شاه همه گوهرهای گدازنده است و زینت ملوک چنانکه گفته اند» (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۴۶). (أیها الملك! فی هذا الاحتفال الآذاری المقام فی شهر آذر، أثن علی الله ومذهب الأكابر؛ إذ إن هاتف الغیب وهبک المعرفة والبصيرة والمهارة. أطل الله عمرك متحلياً بالحمائد. جعلك الله مُبتهجاً وسعيداً على العرش الملكي الذهبي. أعطاك الله كأس جمشيد للخمرة وأنت تصبح خالداً عند شربه. والتزم بسنة الأسلاف في علو الهمة والإحسان والقيام بالعدالة والصدق. فلتكن سعيداً مُبتهجاً؛ لتكن في ريعان شبابك مُخضراً كالأعشاب؛ فليكن حصانك سعيداً ومُنتصراً؛ وليكن سيفك مُشرقاً فعلاً عاملاً في العدو؛ أذعو أن يكون صقرك نشيطاً وميموناً في الصيد؛ فلتكن أعمالك مُنجزَةً وصائبةً كالسهام؛ وعندما انتهى مما قيل آنفا، قبل أن يعطي الملك كأس الخمر، تذوقه ليتأكد أنه ليس ساماً؛ ووضع الباقية الخضراء في يده الأخرى كما وضع الدينار والدرهم أمام عرش الملك. وكان مما يقوم به من أعمال، يهدف في ذلك إلى أن يحظى الكبار بعيش سعيد وبهيج حتى السنة المقبلة وذلك كلما وقعت عيونهم على كل شيء في التبريز وفي الزيارة الأولى؛ فسينعمون بهذا العمل مُتمنين به؛ إذ إن سعادة الدنيا تتوقف على ما يأتون به من هدايا للملك).

٥-٦-٦. خلط الحديث عن الإيرانيين بالحديث عن ملوك العرب

استخدم كلا المؤلفين هذه التقنية والفرن؛ طالما أنهما يُصَوِّران الثقافة والعادات الإيرانية؛ فإنهما لا يُزَعِجان المخاطب، ناقلين نواياهما بشكل أفضل وفي قالب أمثل. عندما يُريد الجاحظ الحديث عن زوادة الملك في السفر والاستجمام؛ بعد شرح العادات، يُعَدُّ تقاليد الإيرانيين أفضلَ مظهرٍ من مظاهر تلك العادات، وبعد ذلك، يُؤكِّد أن ملوك العرب مظهر من تلك التقاليد: «وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ إِذَا خَرَجَ لِسَفَرٍ أَوْ نُزْهَةٍ، أَنْ لَا يُفَارِقَهُ خَلِجٌ لِلْكَسَاءِ، وَأَمْوَالٌ لِلصَّلَاتِ، وَسِيَاطٌ لِلأَدَبِ، وَقِيُودٌ لِلعَصَاةِ، وَسِلَاحٌ لِلأَعْدَاءِ، وَحُمَاةٌ يَكُونُونَ مِنْ وَرَائِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَمُؤَنَسٌ يُفِضِي إِلَيْهِ بِسِرِّهِ، وَعَالِمٌ يَسْأَلُهُ عَن حَوَادِثِ أَمْرِهِ، وَسُنَّةٍ شَرِيعَتِهِ، وَعَلَى هَذَا كَانَتْ مُلُوكِ الأَعَاجِمِ، أَوْلَهَا وَآخِرَهَا وَأَيْضًا، فَإِنَّ مُلُوكِ العَرَبِ لَمْ تَزَلْ تَتَمَثَّلُ هَذَا وَتَفَعَّلُهُ» (الجاحظ، لاتا، ص ٢٣).

يُشير الخيام بعد وصفه العادات والتقاليد الإيرانية فيما يتعلَّق بالمائدة، إلى استمرار هذه التقاليد لدى الخلفاء العبَّاسيين: «ملوك عجم ترتبى داشته‌اند در خوان نيكو نهادن هرچه تمام‌تر به همه روزگار، وچون نوبت به خلفا رسید در معنى خوان نهادن نه آن تكلف كردند كه وصف توان كرد، خاصه خلفا عباسى از حلوهاى گوناگون نهادند كه پيش از ايشان نبود» (نیشابورى، ١٣٨٥ هـ.ش، ص ١٣). (كانت ملوك العجم تقاليد حيث كانوا يجعلون في كُلِّ الأوقات، على المائدة من الأطعمة الشهية ما كلّفوا أنفسهم في ذلك؛ أمّا الخلفاء العبَّاسيون فقد جعلوا من الحلويات على المائدة، ما لم يكن قبلهم).

٢-٦. وجوه التباين

١-٢-٦. إعمار الإيرانيين وإماؤهم في أدب الكاتبين

يُصرِّح الخيام بنثره الخاص بأن الملوك الإيرانيين بمجرد توليهم الأمور، لا يُفكرون بشيء إلا بفكرة الإعمار والإمضاء والحضارة المدنيّة: «هر پادشاه كه بر تخت مملكت بنشستى، شب و روز در اين انديشه بودى كه كجا آب وهوای خوش است تا آنجا

که شهری بنا کردندى تا ذکر او در آباد کردن مملکت در جهان بماندى» (نیشابورى، ۱۳۸۵هـ.ش، ص ۱۴). (كُلُّ ملكٍ تَرَبَّعَ على أريكةِ السلطة، كانت تُراوده ليلاً و نهاراً فكرة البحث عن مكان طيب الماء والهواء صالح ملائم لبناء المدن ليخلد ذكره في تنمية البلاد وإعمارها في العالم).

يَعُدُّ الخيَّامُ الإيرانيين جادِّين ومصمِّمين على استكمال المشاريع غير المكتملة؛ حتى إنَّه مع تغيير الملك هناك اهتمام بهذه المشاريع: «آن كس که به جای او بنشست بر تخت مملکت، چون کار جهان بر وی راست گشتی، بر هیچ چیز چنان جد نمودی که آن بنا نیم کرده آن پادشاه تمام کردی، یعنی تا جهانیان بدانند که ما نیز بر آبادان کردن جهان ومملکت، همچنان راغبیم» (نیشابورى، ۱۳۸۵هـ.ش، ص ۱۶). (إذا خلفه ملكٌ آخر، بعد ما تستتب له الأمور، يبذل أقصى جهده ليتمَّ إعمار ذلك البناء غير المكتمل وبهذا يُثبت للعالم بأننا لا نزال راغبين في إعمار العالم).

كان الإيرانيون يبنون أمكنةً لاستراحة القوافل وسبوتهم يحفرون آبار المياه ويحرصوا على الأمن على الطرقات: «در بیابان ها و منزل ها رباط فرمودندی و چاه های آب کدندی و راه ها از دزدان و مفسدان ایمن داشتندی» (نیشابورى، ۱۳۸۵هـ.ش، ص ۱۶). (بنوا منازل الاستراحة كما وحفروا آبار المياه جاعلين الطرق آمنةً من اللصوص والمفسدين).
عندما ننظر إلى كتاب «التاج» لا نجد فيه ما يسوقنا نحو الاعتقاد بأن الجاحظ يُعجبه إعمارُ البلاد وإمّاؤها لدى الإيرانيين؛ إمّا نجد بعض ما يُشير بشكل غير مباشر إلى أنّهم يحملون هذه الصفة؛ لأنّ الجاحظ في جزء من كتابه يتحدّث عن آداب رسول الملك الذي يراه مُتحلياً ببعض الصفات المستحسنة. فإذا لم يكن متحلياً بهذه الصفات، رُبّما أُخِلَّ بإدارة البلاد وإعمارها: «وَمِنَ الْحَقِّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ صَاحِبَ الْفِطْرَةِ وَالْمِزَاجِ، ذَا بَيَانٍ وَعِبَارَةٍ، صَدُوقٌ لِلَّهْجَةِ، لَا يَمِيلُ إِلَى طَمَعٍ وَلَا طَبَعٍ» (الجاحظ، لاتا، ص ۳۸).

والرسول من وجهة نظر أردشير بن بابك إذا لم يكن صالحاً يُخَلُّ بإعمار البلاد وإمائها؛ لأنّ كذبه وخيانتته يُسفران عن سفك الدماء وقتل الجيوش ونقض العهود: «وكان أردشير بن بابك يقول: كم من دمٍ قد سَفَكَهُ الرسولُ بِغَيْرِ حِلِّهِ! وكم من جيوشٍ

قَدْ قَتَلْتِ، وَعَسَاكِرَ قَدْ هَزِمْتِ، وَحَرَمَةَ قَدِ انْتَهَكْتِ، وَمَالٍ قَدِ انْتَهَبْتِ، وَعَهْدٍ قَدِ نَقَضْتِ
بِخْيَانَةِ الرَّسُولِ وَأَكَاذِيهِ» (الجاحظ، لاتا، ص ٣٨).

٣-٢-٦. الخدمات الاجتماعية للإيرانيين

كان الإيرانيون يُفَرِّقُونَ لكلِّ شخصٍ راتبًا معينًا حتَّى يُغَطِّي تكاليف حياته مانحين إِيَّاهُ مساعداتٍ ماليَّةٍ دون المطالبة بذلك فيما بعد. وقد اعتادوا في هذه الحالة مُعاقبة منتهكي القوانين لِيَتَعَطَّ الآخرون بما عاثوا من الفساد: «وهركسي را رسمي ومعيشتي فرمودندی، وهرسال بدو رسانیدندی بی تقاضا واگر کسی از عمال چیزی بر ولایتی یا دیهی بیرون از قرار قانون در افزودی آن عمل بدو ندادندی، بلکه او را مالش دادندی تا کسی دیگر طمع نکردی که زیادت از مردم بستاند.» (نیشابوری، ١٣٨٥ هـ.ش، ص ١٣). (قَرَّروا رَاتِبًا سَنَوِيًّا لِكُلِّ شَخْصٍ؛ وَلَوْ زَادَ عَامِلٌ مِنَ الْعَمَالِ عَلٰی مَا كَانَ خَارِجًا عَنِ الْقَانُونِ الْمُقَرَّرِ، لِأَقْصَاوِهِ عَنِ الْعَمَلِ، مُنْبَهِينَ إِيَّاهُ حَتَّى لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَخْذِ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ).

الكَاتِبُ الْعَرَبِيُّ عَلٰی عَكْسِ نَظِيرِهِ الْإِيرَانِيِّ لَا يُشِيرُ مُبَاشَرَةً إِلَى تَقْرِيرِ رَاتِبِ مُعَيَّنٍ لِلأَشْخَاصِ وَإِنَّمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَصْفَهُمُ بِأَنَّهُمْ سُعْدَاءُ؛ إِذْ إِنَّهُمْ لَيْسُوا غَافِلِينَ عَمَّا يَجْرِي فِي بِلَادِهِمْ مِنْ أَحْدَاثٍ «وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنِ سَرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَامَتِهِ، وَإِذْكَاءِ الْعُيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ عَامَّةً» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٣). يَعْتَقِدُ الْجَاحِظُ بِأَنَّ الْمَلِكَ يُسَمَّى رَاعِيًّا إِذْ إِنَّهُ يَفْحَصُ عَنِ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِطْلَاقَ عِنْوَانِ الرَّاعِيِّ عَلٰی الْمَلِكِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُهْتَمًّا بِفَحْصِ أَسْرَارِ الرَّعِيَّةِ وَالْبَحْثِ عَنِ أَخْبَارِهَا «وَأَمَّا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًّا، لِيَفْحَصَ عَنِ دَقَائِقِ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنِ فَحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ، وَالْبَحْثِ عَنِ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ اسْمِ الرَّاعِيِّ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٣). يُسْتَنْبَطُ مِمَّا يَذْكُرُهُ الْجَاحِظُ أَنَّهُ يُشِيدُ بِتَفْحَصِ الْمُلُوكِ السَّاسَانِيِّينَ لِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ؛ بَعْدَ الْإِشَادَةِ بِهَذِهِ الْمِيزَةِ الطَّيِّبَةِ لَدَى السَّاسَانِيِّينَ يُفْضَلُ أَرْدَشِيرُ بَابَكَانَ لِكُونِهِ مَلِكًا سَاسَانِيًّا مُهْتَمًّا بِشُؤُونِ الْبِلَادِ وَأَبْنَاءِ الْبِلَادِ عَلٰی الْمُلُوكِ الْآخَرِينَ. فَهُوَ يَعْرِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ مَا يَجْرِي فِي بِلَدِهِ وَيَبْحَثُ تَمَامَ الْبَحْثِ عَنِ أَخْبَارِهِ: «وَلَمْ يَرِ مَلِكٌ قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكِ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلِكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٣).

وصف الجاحظ في بداية حديثه الملوك بالسُّعداء ثم ذكر اسم أردشير بن بابك كونه أفضل الملوك الساسانيين في هذا الجانب؛ بعد ذلك، يتحدث عن الصفات المُستحسنة لدى الملوك مُشيرًا إلى مهامهم: «فَعَلَى الْمَلِكِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ بِالْفَحْصِ عَن أَسْرَارِهِمْ وَدَقِيقِ أَخْبَارِهِمْ، حَتَّى إِنْ أَمَكْنَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَبِيتَ أَحَدِهِمْ وَمَقِيلِهِ، وَمَا أَحْدَثَ فِيهِمَا فَعَلَ» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٥). أمَّا الفرق بين ما يقوله الجاحظ والخيام فيتجلى في كون الخيام مهتمًا بالتفاصيل؛ إذ إنه يُشير إشارة مباشرة إلى الخدمات الجليلة التي يُسديها الملوك الساسانيون لأبناء بلادهم غير أن الجاحظ يُشيد بكونهم يتفحصون دقائق أمور الرعيّة.

٤-٢-٦. المهارة في الرماية والاستراتيجية الحربيّة وتدبير الخطة لدى الإيرانيين

اشتهر ملكان إيرانيان بالسياسة والاستراتيجية الحربيّة وتدبير الخطة أحدهما كسرى برويز والآخر بهرام جور [جور]؛ يُشيد الجاحظ بالاستراتيجيات الحربيّة لدى الإيرانيين: «وَكَانَ كَسْرَى بَرُويزُ، بَعْدَ بَهْرَامِ جُورٍ، صَاحِبَ مَكَائِدٍ وَخَدَعٍ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةِ الْعَدُوِّ. وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرِبَرَاذَ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَهُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالْبَسَالَةِ. فَكَانَ شَهْرِبَرَاذُ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ قَرَارَ دَارِهِ، وَأَخَذَ مِمَّخَنَقِهِ، حَتَّى هَمَّ بِمُهَادَنَتِهِ، وَمَلَّ مُحَارَبَتَهُ، وَطَلَبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرِبَرَاذُ» (الجاحظ، لاتا، ص ٥٨). يتحدث الخيام عن رغبة الملوك الساسانيين في الصيد. فضلًا عن ذلك، يُشير إلى استخدامهم السهام والأقواس للصيد. «تير وكمان سلاحي بايسته است ومرآن را كاربستن ادبي نكوست». (نیشابوری، ١٣٨٥هـ.ش، ص ٣٩). (إن السهم والقوس سلاحان ضروريان وإن استخدامهما يُعدُّ عملاً محببًا مُستحسنًا)؛ وفي هذا الجانب، يأتي الخيام مثل نظيره العربي بقصة عن بهرام جور، الذي كان مشهورًا في الرماية والصيد: «گویند بهرام گور روزی پیش نعمان بن منذر ایستاده بود که پروردگار او بود، به یک کمان، دو تیر انداخت و دو مرغ را بدان دو تیر از هوا فرود آورد، نعمان

گفت: ای پسر! تا جهان بوده است نه چون تو تیرانداز بود و نه تا جهان باشد خواهد بود» (نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۴۲). (يُقَالُ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ بِبِهْرَامِ جُورٍ وَاقِفًا عِنْدَ النِّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ الَّذِي كَانَ مُدْرَبًا لَهُ، فَرَمَى سَهْمَيْنِ بِقَوْسٍ وَاحِدَةٍ أَصَابَتْ الطَّائِرَيْنِ فِي الْهَوَاءِ فَسَقَطَا عَلَى الْأَرْضِ. قَالَ النِّعْمَانُ: أَيُّهَا الْفَتَى! مُنْذُ أَنْ كَانَ الْعَالَمُ قَائِمًا، لَمْ يَشْهَدْ رَامِيًّا مِثْلَكَ وَلَنْ يَشْهَدْ مِثْلَكَ مَا دَامَ الْعَالَمُ مُوجُودًا).
 كما تقدّم، لم يُشرِ الكاتبُ الإيرانيُّ إلى مهارة الرماية في الحروب وإنما اكتفى بالإشارة إلى مهارة الملوك الساسانيين في الصيد؛ بينما أعجب الجاحظُ بمهارة الملوك الساسانيين في الحروب.

۵-۲-۶. الإتيان بالحكاية قبل شرح التقاليد الإيرانية وبعدها

يُشيرُ الكاتبُ العربيُّ إلى اعتقاد الإيرانيين بكونهم واعين عند أكل الطَّعام؛ إذ إنَّ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ حِينَ الْأَكْلِ يَسْتَمْتِعُ بِأَكْلِ الطَّعَامِ: «كَأَنَّتْ مُلُوكَ آلِ سَاسَانَ، إِذَا قُدِّمَتْ مَوَائِدُهُمْ، زَمَزَمُوا عَلَيْهَا فَلَمْ يَنْطِقْ نَاطِقٌ بِحَرْفٍ حَتَّى تَرْفَعُ. فَإِنْ اضْطَرُّوا إِلَى كَلَامٍ، كَانَ مَكَانَهُ إِشَارَةً وَإِمَاءً يَدُلُّ عَلَى الْغَرَضِ الَّذِي أَرَادُوا، وَالْمَعْنَى الَّذِي قَصَدُوا. وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَطْعِمَةَ بِهَا حَيَاةٌ هَذَا الْعَالَمِ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْعَلَ ذَهَنَهُ فِي مَطْعَمِهِ وَيُسْعِلُ رُوحَهُ وَجَوَارِحَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ تَأْخُذُ كُلَّ جَارِحَةٍ بِقَسِطِهَا مِنَ الطَّعَامِ، فَيَتَغَذَّى بِهَا الْبَدَنُ وَالرُّوحُ الْحَيَوَانِيَّةُ الَّتِي فِي الْقَلْبِ وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي فِي الْكَبِدِ، اغْتِذَاءً تَامًا وَتَقَبُّلَهُ قَبُولًا جَامِعًا» (الجاحظ، لاتا، ص ۵ و ۶).

بعد أن يُشيرُ الجاحظُ إلى أنَّ الإيرانيين يَكْفُونُ عَنِ الْحَدِيثِ عِنْدَ أَكْلِ الطَّعَامِ، يَأْتِي بِحِكَايَةٍ تَتَّصِلُ بِمَا وَصَفَ الْإِيرَانِيِّينَ بِهِ فِي الْكُفِّ عَنِ الْحَدِيثِ عِنْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ: «وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ، قَالَ: قَالَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ، وَأَطْنُهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، لِأَيِّ نَوْفَلِ الْجَارُودِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ: مَاذَا تَصْنَعُونَ عِنْدَ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزِ الْفَرَشِيِّ، إِذْ كُنْتُمْ عِنْدَهُ؟ فَيَقُولُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: عِنْدِي لَوْنٌ كَذَا، وَدَجَاجَةٌ كَذَا، وَمِنْ الْحَلَوَاءِ كَذَا. قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْ عَنِ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِيَقْصُرَ كُلُّ رَجُلٍ عَمَّا لَا يَشْتَهِيهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا يَشْتَهِيهِ. قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِالْخَوَانِ فَيَتَضَايِقُ وَيَتَسَعُّ، وَيَقْصُرُ وَيَجْتَهَدُ» (الجاحظ، لاتا، ص ۶).

هذه السمة من السمات الفنيّة البارزة لدى الكاتب الإيراني، حيث تحتل نصف الصفحات التي كتبها الخيام عن التقاليد الإيرانية. بعبارة أخرى، إنه خلال سبعة وثلاثين صفحة، قبل أن يصف التقاليد الإيرانية يأتي بالحكاية كي يكون خطابه أكثر فاعليّة. على سبيل المثال، يتحدث الكاتب في قسم من كتابه عن تقاليد تفأل الملوك الإيرانيين بطائر الصقر: «باز، مونس شكارگاه ملوك است، وبوى شادى آرد، و وى را دوست دارند، ودر باز، خوىها بود چنانكه اندر ملوك بود، از بزرگ منشى، پاكيزگى وپيشينگان چنين گفته اند: شاه جانوران گوشت خوار باز است، وشاه چهارپايان گياه خوار اسپ، وشاه گوهرهاى ناگدازنده، ياقوت و مَرَباز را حشمتى است كه پرنندگان ديگر را نيست و عقاب از وى، بزرگ تر است وليكن وى را آن حشمت نيست كه باز را، وپادشاهان ديدار وى را به فال دارند، وچون باز بى تعبى سبك بر دست وى نشيند و رو سوى پادشاه كند، دليل آن باشد كه وى را ولايتى نو به دست آيد و برخلاف اين، به عكس» (خيّام نيشابورى، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۵۶). (الصقر رفيق مربع الصيد للملوك؛ يتضوّع منه شذى الأفراح والسعادة. الملوك يُحبّون الصقر وقد كانت صفات طيِّبة مُشتركة بين الصقر والملوك. لقد وَصَفَهُ المتقدّمون بِالعلوِّ والطَّهارة. الصقر ملك الحيوانات الآكلة اللّحوم والحصان ملك الحيوانات العاشبة كما أنّ الياقوت أفضل الأحجار الكريمة غير قابلة للذّوب والانصهار. وللصقر علوٌّ لا يُوجد مثل هذه الصفة لدى غيره من الطّيور. العقاب أكبر من الصقر غير أنّ ما يُوجد من علوِّ في الصقر لا يُوجد في العقاب. يتيّمّن الملوك بأن يكون طائر الصقر عندهم. وإذا جلس الصقر على يد الملوك مُقبلاً عليهم؛ فهذا يدلُّ على أنّ الملك يظفر بولاية جديدة والخلاف على العكس). في ختام الموضوع، يحكي الخيام مرّة ثانية قصّته عن الصقر كي ينقل مفهومه بشكل أفضل: «چنين گویند كه ماهان، پادشاهي بزرگ بوده است عاقل و كافي، يك روز بازدار خویش را دید باز بر دست آب می خورد، بفرمود تا صد چوبش بزدند، گفت: ای عجب! باز به تن خویش پادشاه پرنندگان است، وغمگسار وعزیز دست پادشاهان است، روا بُود كه تو این چنين بی ادبی کنی،

عزیز ملوک بر دست و تو آب خوردی، یا جز آب چیزی دیگر، بازدار گفت زندگانی خداوند دراز باد چون به شکارگاه تشنه گردم چون کنم که باز با من بود، گفت به کسی دیگر ده که اهل آن بود که باز تواند داشت که تو آب خوری یا چیزی دیگر که ترا بدان حاجت باشد» (خیام نیشابوری، ۱۳۸۵ هـ.ش، ص ۵۸). (یحکی أن ماهان كان ملكًا كبيرًا عاقلًا جامعًا لكل الصفات الإيجابية. ذات يوم رأى الملكف بشؤون الصقر يشرب الماء والصقر على يده. فأمر بجلده بمئة سوط من الخشب. قال الملك: يا للعجب! إن الصقر لما يحظى به من جسد قوي هو ملك الطيور مسل وعزيز لدى الملوك. إن سوء تصرفك هذا غير مسموح به. إن عزيز الملوك جالس على أيديك وأنت تشرب الماء وربما تناولت شيئًا آخر غير الماء. فأجاب الملكف بشؤون الصقر قائلاً: أطال الله حياة الملك؛ عندما ظمأت في مربع الصيد وكان الصقر معي، لم أتمكن من شرب الماء بطريقة أخرى وكنت مجبوراً في ذلك. كيف يمكن لي أن أشرب الماء؟ قال الملك: فوض مهمتك إلى شخص آخر له صلاحية في هذا العمل يمكنه أن يكلف بشؤون الصقر محترماً إياه؛ لكي يكون لك متسع من الوقت لشرب الماء أو لسد ما تحتاج إليه من المؤونة).

مما تقدم تبين لنا أن الجاحظ يأتي بالحكاية بعد وصف التقاليد الإيرانية وتتصف كتابته في هذا المجال بالإيجاز لكن نظيره الفارسي يأتي بالحكاية قبل وصف التقاليد الإيرانية مُسهباً في شرح هذه التقاليد.

۷. نتائج البحث

تم تحليل صورة إيران في كتاب الكاتبين في محورين: القواسم المشتركة والوجه المتباينة. وأما ما توصلت إليه المقالة من نتائج، فيتلخص فيما يلي:

القواسم المشتركة:

- العدالة: إن إيران لدى الكاتبين، بلدٌ تسوده العدالة؛ لا يدخر ملوكها وسعاً

- ولا يألون جهداً في إقامة العدالة. يعتقد الجاحظ في هذا المجال بأن الملوك الإيرانيين لم يسرفوا ولم يقتروا في عطائهم لأحد؛ كما أن الضباط لم يشتكوا بعد عشرين عاماً من خدمتهم؛ لأنهم سُدَّت حوائجهم. أما الخيام فيشير إلى أن الإيرانيين ينظّمون الظروف المعيشية للناس ويساعدونهم من دون أن يُطالبوهم بالردّ فيما بعد. إضافةً إلى ذلك، يُشيد بالملوك الإيرانيين لاهتمامهم بمتابعة مُنتهكي القوانين حتّى يكون ذلك درساً فلا يطمع أحدٌ في نهب الخزانة.
- **إدارة الأمن:** في نظرة الكاتبين يُوقّر الملوك الإيرانيون الأمن للشعوب. من وجهة نظر الكاتب العربيّ أنّ الإيرانيين لا يعفون عن الذنوب في عدّة حالات مثل اغتيال الملوك ونشر الأكاذيب عنهم وسوء النية للبلاد وضمير الأحقاد والضغائن في القلوب وكشف أسرار البلاد؛ غير أنّ الخيام يتحدث عن اهتمام الإيرانيين بتكليف المخبرين من كلّ مدينة بتسقط الأخبار في أرجاء البلاد كي يكون الأمن مستتباً.
 - **التشجيع:** يؤكّد الكاتب العربيّ على أنّ الإيرانيين يهدون الهدايا لمن يسعون وراء تادية خدمات جديرة للملك أو إسداء خدمات جليلة لمن يعيشون في أرض الملك؛ في حين يؤكّد الخيام على إظهار الملوك الإيرانيين امتناناً لفظياً وفعالياً للأقوال والأفعال التي تُعجبهم.
 - **صورة النيروز في أدب الكاتبين:** تجلّت تقاليد النيروز الرائعة في أدب المؤلّفين غير أنّها تبلورت وتجلّت بطريقة أفضل وبجودة أكبر في أدب الخيام؛ إذ إنّه إيرانيٌّ ولديه معلومات أكثر عن التقاليد الإيرانية بالنسبة إلى نظيره العربيّ الجاحظ؛ لأنّ الخيام يزوّد المخاطب بمعلومات مهمّة عن نشأة النيروز وأسباب تسميته بهذا الاسم.
 - **خَلطُ الحديث عن الإيرانيين بالحديث عن ملوك العرب:** يتحدث الكاتبان بعد وصف التقاليد الإيرانية عن استمرار هذه التقاليد لدى الخلفاء العباسيين؛ عندما يُريد الجاحظ الحديث عن زوادة الملك في السفر والاستجمام؛ وبعد

شرح العادات، يَعُدُّ تقاليد الإيرانيين أفضل مظهرٍ من مظاهر تلك العادات، وَبعد ذلك، يُؤكِّدُ أَنَّ ملوك العرب مظهر من تلك التقاليد؛ لكنَّ الخيام يُشير بعد وصفه العادات والتقاليد الإيرانيَّة فيما يتعلق بالمائدة، إلى استمرار هذه التقاليد لدى الخلفاء العبَّاسيين.

وُجوه التباين:

- إعمار الإيرانيين وإماؤهم: النظر إلى كتاب «التاج» لا يسوق المخاطب نحو الاعتقاد بإعجاب الجاحظ بإعمار البلاد وإمائها لدى الإيرانيين؛ إمَّا يوجد في كلامه بعض ما يُشير بشكلٍ غير مُباشر إلى أنَّهم يحملون هذه الصفة؛ غير أنَّ الخيام يتحدَّث بصراحة عن اهتمام الإيرانيين باستكمال المشاريع غير المكتملة وبناء الأمكنة لاستراحة القوافل.
- الخدمات الاجتماعيَّة للإيرانيين: الفرق بين ما يقوله الجاحظ والخيام يتجلَّى في كون الخيام مُهتَمًّا بالتفاصيل؛ إذ إنَّه يُشير إشارة مُباشرة إلى الخدمات الجليَّة التي يُسديها الملوك الساسانيُّون لأبناء بلادهم غير أنَّ الجاحظ يُشيد بِكونهم يتفحَّصون دقائق أمور الرعيَّة.
- المهارة في الرماية والاستراتيجيَّة الحربيَّة وتدبير الخُطَّة لدى الإيرانيين: لا يُشير الكاتب الإيراني إلى مهارة الرماية في الحُرُوب وإمَّا يكتفي بالإشارة إلى مهارة الملوك الساسانيين في الصيد؛ بينما أُعجِب الجاحظ بمهارة الملوك الساسانيين في الحُرُوب.
- الإتيان بالحكاية قبل شرح التقاليد الإيرانيَّة وبعدها: يأتي الجاحظ بالحكاية بعد وصف التقاليد الإيرانيَّة وتُتَّصف كتابته في هذا المجال بالإيجاز، لكنَّ نظيره الفارسي يأتي بالحكاية قبل وصف التقاليد الإيرانيَّة مُسهبًا في شرح هذه التقاليد.

المصادر العربية

- ١- الجاحظ، عمرو بن بحر، (لاتا)، التاج في أخلاق الملوك، القاهرة: مكتبة المصطفى.
- ٢- الجاحظ، عمرو بن بحر، (١٩٩٥م)، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ٣- الجاحظ، عمرو بن بحر، (١٩١٤م)، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة: المطبعة الأميريّة.
- ٤- الفخوري، حنا، (١٣٩٢هـ-ش)، تاريخ الأدب العربي، ج٧، تهران: توس.
- ٥- السندوي، حسن، (١٣٥٠هـ)، أدب الجاحظ، القاهرة: المطبعة الرحمانية.
- ٦- العشماوي، محمد زكي، (١٩٩٤م)، دراسات في النّقد المسرحي والأدب المقارن، مصر: دار الشروق.
- ٧- ابن خلكان، شمس الدين محمد، (١٢٩٩م)، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزّمان، القاهرة: مكتبته بولاق.
- ٨- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر، (١٤٠٧هـ)، البداية والنهاية، ج١١، بيروت: دار الفكر.
- ٩- أمين، أحمد، (٢٠٠٣م)، ضحى الإسلام، القاهرة: مكتبة الأسرة.
- ١٠- حمود، ماجدة، (٢٠٠٠م)، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- ١١- جوني، رنا؛ وقمر عدنان شاهين، (١٤٠١)، «صورة الحب والفراق في شعر غادة السمان وفروغ فرخزاد، دراسة مقارنة»، مجلة الدراسات الأدبية، ج ٥٢، ع ١٠٤، ص ١٦١-١٣٩.
- ١٢- عامر، عطيه، (١٩٥٧م)، تاريخ الأدب المقارن في مصر، القاهرة: دار المعارف.

المصادر الفارسيّة

- ۱- احمدی مجین، بهاره، (۱۳۹۱هـ.ش)، تصویر ایران در شعر شعرای معاصر عراق باتوجه به شعر: احمد صافی نجفی، عبدالوهاب بیاتی ومحمد مهدی جواهری، پایان نامه کارشناسی ارشد، دانشگاه فردوسی، مشهد، دانشکده ادبیات و علوم انسانی.
- ۲- ایروانی‌زاده، عبدالغنی؛ ومهدی عابدی، (۱۳۸۹هـ.ش)، «تصویر ایرانیان در آثار ابوحنیان توحیدی»، نشریه ادبیات تطبیقی، ج ۲، ش ۳، ص ۳۱-۱.
- ۳- تسلیمی، علی؛ و ناهید زارعی؛ و محمدعلی خزانه دارلو، (۱۴۰۰هـ.ش)، «گفتمان‌های متفاوت در نوروزنامه»، فصلنامه متن پژوهی ادبی، ج ۲۵، ش ۹۰، ص ۲۳۳-۲۱۳.
- ۴- رحمتی، محمداکظم، (۱۳۸۶هـ.ش)، «جاحظ و کتاب التاج منسوب به او»، آئینه میراث، ش ۳۶ و ۳۷، ص ۱۴-۱.
- ۵- سپهری، محمد؛ وعودی، ستار؛ وسید محمدرضا هاشمی‌نیا، (۱۳۸۹هـ.ش)، «زمینه اجتماعی سقوط بغداد و انقراض خلافت عباسی»، نشریه تحقیقات تاریخ اجتماعی، ج ۹، ش ۲، ص ۳۴۰-۳۱۹.
- ۶- سبزیان پور، وحید؛ و سروش، وجیهه، (۱۳۹۹هـ.ش)، «نگاهی دوباره به کتاب جاحظ»، مجله ادب عربی، ج ۱۲، ش ۴، ص ۱۸۴-۱۶۷.
- ۷- سبزیان پور، وحید، (۱۳۹۰هـ.ش)، «تأثیر فرهنگ و ادب ایرانی در ادب عربی؛ مطالعه مورد پژوهانه (امثال مولد)»، نشریه کاوش نامه ادبیات تطبیقی، ش ۲۳، ص ۳۷-۵۶.
- ۸- شریعت پناه، زهرا، (۱۳۹۳هـ.ش)، تصویر ایران در رحله ابن بطوطه از منظر ادبیات تطبیقی، پایان نامه کارشناسی ارشد، دانشگاه فردوسی، مشهد، دانشکده ادبیات و علوم انسانی.
- ۹- صادقی سمرجانی، حسن؛ و یحیایی، علی، (۱۳۹۷هـ.ش)، «خیام در مقام

- اعتراض به سیاستهای خردستیز عصر سلجوقی؛ فصلنامه پژوهش های نثر و نظم فارسی، ج ۲، ش ۵، ص ۱۴۴-۱۲۷.
- ۱۰- صفا، ذبیح الله، (۱۳۶۹ ه.ش)، تاریخ ادبیات ایران، ج ۲، چ ۱۰، تهران: فردوس.
- ۱۱- صیادی نژاد، روح الله؛ وکوجیان، الهام، (۱۳۹۰ ه.ش)، «بازتاب جشنهای باستانی ایرانیان در دو کتاب المحاسن والأضداد والتاج جاحظ بصری»، مجله ادب عربی، ج ۳، ش ۳، ص ۲۱-۱.
- ۱۲- طالقانی، سید حسن؛ وملك مکان، حمید، (۱۳۹۱ ه.ش)، «چیستی عقل در عقلگرایی معتزله»، فصلنامه علمی پژوهشی کلام اسلامی، ج ۲۱، ش ۸۴، ص ۱۴۲-۱۲۹.
- ۱۳- طقوش، محمد سهیل، (۱۴۳۰ ه.ش)، تاریخ الدولة العباسیة، بیروت: دار النفائس.
- ۱۴- عیدانی، سهیلا؛ وسعدون زاده، جواد، (۱۳۹۷ ه.ش)، «بازتاب فرهنگ و ادب ایرانی در شعر ابن رومی»، نشریه کاوش نامه ادبیات تطبیقی، ج ۸، ش ۲۹، ص ۱۲۳-۱۰۵.
- ۱۵- فاضلی، مهیود، (۱۳۸۷ ه.ش)، «نظام فکری خیام»، نشریه پژوهش های ادبی، ج ۵، ش ۲۰، ص ۸۹-۶۱.
- ۱۶- قنوات، عبدالرحیم و اورعی قدیری، مریم، (۱۴۰۰ ه.ش)؛ «بررسی نوروز نامه در عصر اسلامی تا سده نهم هجری»، نشریه تاریخ نگری و تاریخ نگاری، ج ۳۱، ش ۲۷، ص ۲۳۴-۲۱۱.
- ۱۷- مصاحب، غلامحسین، (۱۳۹۷ ه.ش)، حکیم عمر خیام به عنوان عالم جبر، چ ۲، تهران: انجمن آثار و مفاخر فرهنگی.
- ۱۸- ملاکی، زهره؛ و افشین، سیدعلی؛ و حسینی، فریده سادات، (۱۳۹۹ ه.ش)، «مقایسه نظریه آینده متعالی با مرگ اندیشی خیام»، پژوهشنامه ادب غنایی، ج ۱۸، ش ۳۵، ص ۲۲۷-۲۴۴.
- ۱۹- نیشابوری، خیام، (۱۳۸۵ ه.ش)، نوروزنامه در منشأ و تاریخ و آداب جشن

نوروز، با مقدمه مجتبی مینوی، تهران: اساطیر.
 ۲۰- یادگاری، لیلای؛ و قهرمانی مقبل، علی اصغر؛ و زارع، ناصر؛ و بلاوی، رسول،
 (۱۴۴۴هـ.ش)، «الحکمة العملیة عند الفُرس في کتاب عیون الأخبار لابن قتیبة.
 دراسة صورولوجیة»، نشریه کاوش نامه ادبیات تطبیقی، ج ۱۲، ش ۴۷، ص
 ۹۳-۱۱۴.